الملاك الاول

خطاب الآنسة جوليا طعمه القته في حفلة جمعية تهذيب الفتاة السورية في بيروت

سبقت والقيت خطاباً موضوعه « السماء الاولى » . ما عنيت حينئذ بالسماء الاولى دار الابدية — جنان الخلود — مسكن الابرار بعد الموت . ولا عنيت بها هذا الجلد البديع الذي رصعه يد مبدع الاكوان بالكواكب والسيارات ولا وصفت بها قصراً ملكياً او صرحاً خياليًا بل عنيت بها البيت « البيت الذي هو مقرّ هناء الرجل والمرأة وموطن سعادة البنين والبنات — مستظل المرأة ومملكة الام — ومراح الرجل ومثابة الاب ومرتع هناء الاولاد ومسرح مسراتهم

وبما انه كلما تذكر السماوات يتبادر الى الذهن ذكر الملائكة معها حتى اصبح الاسمان كلمتين بين كل ملازم للآخر لا سماء بلا ملائكة ولا ملائكة بدون سماء . فارتايت اذا ذاك ان لا اترك سمائي الاولى بدون ملائكة ترفرف فيها وتحوم حول مساكنها الا ان هذه الملائكة ليست اجسادًا ذوات اجنحة — ولا هي حوله الهرة — لا تعني الملاك الاول شيئاً من كل هذا انما هو بالمادي متجسم في شبيبة تجعل المصائب سعادة والظلام نوراً باهراً . متجسم في فتيات تعزي الارواح المثقلة بأتعاب ونكبات هذه الحياة وترفعها من على هذه الارض الى العلويات

الملاكي في هذه الليلة اراه متجسمًا في حالة ارجو ان تصير لكم كما صورت لي مرارًا الابدية وسعادتها . الا وهي « البشاشة » القوة التي تزيد الجسم صحة والعمر طولاً والحياة سعادة

ولما كان قد عهد اليك ايتها المرأة تهذيب النفس والبحث عن الادبيات . ولما كان قد عهد اليك بتقويم النفس الصغار ودفعهم على الطرق القويمة الموصلة الى دار الخلود بينما يكون زوجك منهمكا في التجارة والصناعة يخوض عباب البحار في طلب الرزق فقد رايت ان اوجه كلامي اليك واذلك على مرآة تنعكس منها صورة البشاشة ومعانيها وتتجلى للثلاث الهيئة المقدسة فتستنيرين بنورها الحقيقي . وهي

الوجه الطلق

هو السراج الذي تستضيء به القلوب وترتاح اليه الارواح هو الذي يستمطر سحب الانس ويجلي الهموم ويجلو الاكدار . تقولين حياتك يا سيدتي في ايجاد ما يجملك ويحسن

عيشك ويفر منك من يحبك امره · فتتورد خدودك وتبيض بشرتك ويذبل خصرك ويزداد تفننك في اللباس والزي ومع هذا فلا تزدادين الا بعداً عن زوجك وذوي قرباك ولماذا · لانك صرفت اهتمامك للقشور دون اللباب وكثيرة هنّ هي هذه القشور نتملأ حياتك بالهم والاعتناء تعمي ابصارك عن الحقيقة فينقطب جبينك ويعاديك القنوط ويراوحك ويخاصمك الناس ويسامحك فتقل اذ ذاك طلعتك ويعبر وجهك كانه ايام المصائب وليالي النوائب · فيتجنبك القريب والنسيب ويبعد عن مجالستك الصديق والحبيب ولا عجب فان علامة عبوس الشوش تثير الضغون وتفطر القلوب وتوالي القلب وتطوي الاساط فيكي وجهك يشوش مثقلاً القلوب وتزرف العيون · وتتهافت الناس الى الى مجالستك ايما تهافت حاسبين ان الجنة نفسها هي مختارة من قربك

ان المرأة ذات الوجه الطلق والقلب الواسع هي في الحقيقة ملكة حيث حلت · لها قوة على اعظم النوائب فتدفعها عن زوجها واخيها بسالة غريبة عادة قبل الحرب والمعاملة متصرة على القوى الطبيعية بقوة الطبيعة المستمدة من قوة الالهية

فسلام على من كان اهبه وجهاً بشوشاً — سلام له وسلام عليه فان تأثيره في الناس كتأثير الشمس المشرقة على العالمات والبائس يقوي همة من يشجع اليائس · فاذا صرخت به ومأكلتك اكتست مشاشاً يقوى بك على احمال والتبايد — واذا تسيّرك وصافحته هز يدك هزة عظيمة تولد فيك ارتياحاً يقوي اعصابك واذا سمع لك الوقت وكلمته انعشت بنغمة صوته وجددت بك قوى تشق بها الحمل بحارك بالمدة والعناء مهما كانت ثقيلة ·

سلام على المحيا الطلق وسلام له لانه يرسل شعاعاً وسعادة من حيث لا يدري · وهو ايس بذلك الا كالازاهر التي تزهو في الطبيعة تعطر الهواء بأريجها وتبهج العيون والانظار وهي لا تدري بتأثيرها اذ تدير ان ما تمتص غذاءها من الهواء والارض كأنها لم تخلق الا لعملها هذا

طوبى لك يا ذات الوجه البشاش فانك مصدر كل القوى المدنية والتمدن الحقيقي وطوبى لمن كان لا يحتاج ضارع والاتساء معارم · ان الشاذ ايتها المرأة الاول التسعي · ولماذا ؟

لانك انت المطالبة بالحنان على الغراس الانسانية · وهذه الاغراس كثيراً ما يعروها الذبول فتحتاج الى حرارة من قلبك كي تحييها · فمصائب الدهر اكثر من نبات الارض · قال كاتب شهير ان هذا العالم بشر الشباب والطلاء على كثير من الناس وثمة اعشار من

الذي بهم بؤسا يحتاجون الى ثغور باسمة كي تخفف عنهم وبلائهم . فبل للثغر الباسم فعل وتأثير على المصائب والاكدار . نعم . انه لقسرية قاضية عليها . فابتسامة اخلاص خارجة من صميم قلب المرأة ونسمة سرور تهب من روحها تقدر ان ترفع الارواح الرازحة تحت عبء الحياة المثقلة الى الطبقات العلوية التي تسمح للارواح ان تقصدها وهي على هذه الارض .

ابتسامة اخلاص منك ايتها الاديبة تحوّل المصائب سعادةً والظلام نوراً باهراً وهناك اذا اتى الابتسام من عينيك متألقاً من بين اجفانك فانه لا يعزي الانسان فقط بل يصور له الابدية وسعادتها . او ليست عيناك هي مرآة نفسك . يقولون كل ما يبديه الجميل جميل واذا لو كانت النفس جميلة وبماذا نصف تأثيرها . ليس من الضروري ان تكوني جميلة ليكون لك ولابتساماتك تأثير . وقد سمعتك مراراً تقولين ان فلانة ليست جميلة بل هي مهضومة قريبة من القلب واخرى بديعة في الحسن ولكنها اثقل من الكابوس . فما هو سبب هذا التجاذب وعدمه يا ترى ! ليس الا ان الاولى بشاشة بسامة قد كتب الله بيده على صفحة وجهها ابتسامات الاخلاص وعواطف الانس والثانية عارية من كل عاطفة شريفة تمثل زهرةً بلا عطر وجمالاً بلا قوة . . البشاشة لا تقتل على فمك فقط بل على كل مقاطع وجهك فضعي وراءه سرّ الشعور بالشكر لله ومحبته للانسانية فيخرج من اجفانك نور يكسف نور الشمس ويدخل الحياة بين حولك ويتدفق منك البشر والحبور وتقرأ المواعظ المفيدة في كل ملامحك وتصير كل بقعة من الارض تتأهل بك كما تتأهل بالشمس المشرقة . دخل معرض زهور في اوروبا ابنة ويدها قطعة من الطرف فيها نباتة مزهرة وبعد الفحص اخذت جائزة الامتياز على كل النباتات التي من جنس نباتتها سألها احد الفاحصين وكان قد عرفها بائسة كيف تيسر لك تربية هذه الزهور وبيتك لا تدخله الشمس مطلقاً فاجابته يا سيدي لبيتنا كوة صغيرة تدخل منها الشمس فكنت احمل هذه النباتة واعرضها لاشعة الشمس ولما كانت تغيب عن جهة بيتنا الذي هو على الشارع كنت احملها واقف بها خارجاً تابعة اشعة الشمس اينما ذهبت .

ماذا كان يحل بالذين يعيشون بين جدران الالم من عام الى عام — بابناء المصائب والنكبات — ابناء الغم والبلاء لولا وجود هؤلاء الاشخاص الباسمين الذين كأن الله لما خلقهم لم يخلق معهم لا احقاداً ولا مراً . هؤلاء الذين يحملون معهم شعاع السرور اينما ذهبوا الشعاع الذي هو شفقة على الفقير ورأفة بالبائس المسكين . وجه مثل هذا الشخص هو

ليس إلا (كبساپورت) اي جواز المسافر يجيز له المرور في كل مكان . هو يفك قيود الحسد والحقد لانه يريد الخير لكل الناس

والبشاشة الشاشة ايتها المرأة . الخالك تقول ابن انه لامر هين على من كانت السعة تحيط به وكل وسائل الراحة متوفرة لديه ان يبتسم ويبش بوجه الجميع ولكن اؤكد لك ان في اغلب الاحيان ابتسامات مثل هذه الاشخاص تكون قاسية باردة لا حرارة فيها ولا معنى خلاف من ألم وذاق من اصناف العذاب الوانا فان في ابتسامته وملامح وجهه مواعظ بعجز عن اداتها ابلغ الواعظين . فلا تحسبي اني بالتحريض على البشاشة احاول ان احملك على احتقار الخطوب وعدم المبالاة بها كلا ان الرزايا تجلوا النفوس وتمحصها فاذا حلت بك لاسمح الله مصيبة فلا تعرضي عنها بل تلقيها بايد مفتوحة ولو كانت اتونا من النار . ادرسي تلك المصيبة تدبري اسبابها ونتائجها بكل تبصر ومن لم اجتني منها الثمار الذهبية فتزودي عظة وبشاشة . أفليس يجدر بك بدون التعب وبخصوصه ؟ قال ارسطو — ان العاقل يصير حياة اذا تلقاه المصاب الابتهاج ليس بعدم الحس وجمود القلب بل بصدر رحب وجنان ثابت ونفس كبيرة

سئل كرسون الشهير عن حاله وهو في السجن في مدينة بوستن اجاب سائليه لماذا تدهشون فهو تعدون وحدتي ولست وحدي في هذا المنزل المظلم بل معي رفيقان ممتعان للغاية وهما الضمير الصالح والعقل المرح .

فامرحوا وابتهجوا . ولماذا ؟

لان الابتهاج — قال احد الاطباء هو الدواء الوحيد من الله يجب على كل انسان ان يتنعم به يوميا . حاكم ضيق العيش والكآبة وكل الامور التي هي كصداء على الحياة يجب ان تدهن بزيت الابتهاج

قام طبيب في مدينة نيويورك لم يكن يعرف الا بالدكتور الضحوك وقد ذاعت شهرة هذا الطبيب واعتقد بارشاداته الوف من الناس وهو لم يكن يصف الدواء الا نادراً . قالت اللانسة وهي اهم مجلة صحية في العالم « ان قوة الابتهاج هي ذات اهمية كبرى للمريض والضعيف تشفي الاول في بعض الامراض وتساعد الثاني على مقاومة المرض والتمتع بحياة طويلة ولو كان المرض حليفه » اذاً من اهم واجبات المربين تربية العقول على هذه الحالة بقدر الامكان وتعليم الصغار ان يتابعوا دوام تعاون الخواطر فالمسرة صحة تحكم الطبيعة لان الروح الفرحة ليس من شانها تخفيف الوجع فقط بل هي بلا شك تزيد قوة المواد المتحركة في الجسد .